

الشباب ونَهضة الأمم

■ بقلم الدكتور فيصل جعفر بالي

إن الاسلام قد حفل كثيراً بالشباب، واعتنى بهم النبي ﷺ عناية كبيرة، لأنهم مشاركون في بناء الأمة ونهضتها وسؤدها، بل ان الأمة لا تقوم الا على سواعد شبابها الذي يهتمون لها، ويضحون في سبيل دينهم ومبادئهم التي تربوا عليها.

وحفلات راقصة، وبرامج مختلطة غريزية موجهة لإفساد الشباب المسلم ذكوراً وإناثاً عن طريق تهيج غرائزهم وصرفهم عما يهمهم ويهم أسرهم وأمتهم، وجرحهم الى ميادين العبثية والفوضى الأخلاقية التي نشاهدها في كثير من البرامج التي تهدم ولا تبني أبداً.

ومع طول الزمن، وكثرة هذه المؤثرات، تضعف الرقابة عليها، وتكون مستساغة في المجتمعات، فتفتك بالشباب في أخلاقهم ومعنوياتهم، وتقتل مبادئهم وقيمهم، وحينها

وكل أمة مهزومة عبر التاريخ ما تمت هزيمتها الا بهزيمة شبابها، عن طريق افساد مبادئهم وقيمهم، وغزوهم في أخلاقهم وسلوكهم، وكل أمة تود تحطيم الأخرى فإنها ترمي بثقلها في خططها وبرامجها على فئة الشباب، كما يحصل في حروب المخدرات، وإغراق البلاد المقصودة بالغزو بها، بإفساد القوة الحيوية لديها وكما هو حادث الآن من بث الفساد الأخلاقي، والتهتك والعري الفاضح عبر عدد من القنوات الفضائية في مشاهد مثيرة،

ولو نظرنا في السيرة النبوية لوجدنا ان شباب قريش، كانوا من السابقين الى الاسلام حين استكشف الشيوخ والأكابر عن قبول دعوة الرسول ﷺ.

وكان للشباب دور كبير في نصرة الاسلام عسكرياً، ونشره دعوياً، ورد الشبهات عنه، فمصعب بن عمير رضي الله عنه بعثه النبي ﷺ الى المدينة المنورة ليعلم الناس وهو شاب، وبعث معاذاً الى اليمن قاضياً ومعلماً وهو شاب، وابن عباس رضي الله عنه كان يفسر القرآن، ويفقه الناس وهو شاب، وعهد النبي ﷺ لأسامة بن زيد بقيادة جيش فيه كبار الصحابة وهو شاب، والذين جمعوا القرآن في عهد ابي بكر رضي الله عنه هم الشباب، والذين قادوا الجيوش الجرارة، وكانوا قواد المعارك الكبرى الحاسمة في تاريخ الاسلام هم من الشباب.

وهكذا لو قرأنا سير القادة الكبار، والأبطال الشجعان، الذين أبلوا بلاءً حسناً في الاسلام، ونصبوا له راية في كل ارض لوجدناهم قد قضاوا شبابهم في ميادين الجهاد، كما كان حال صلاح الدين رحمه الله تعالى.

بل ان الشباب حققوا في كثير من المعارك ما عجز عن تحقيقه كبار القادة

يكون الشباب هملاً، لا لمصالحهم ينظرون، ولا بآمتهم ينهضون، واذا تم تدمير الشباب سهل تدمير أمتهم، وهذه القضية يعرفها المختصون، ويتفق عليها كل العقلاء في أية أمة من الأمم وشواهد التاريخ تدعمها، وأحداث الواقع تؤيدها، فحين تراجع النفوذ الفرنسي امام النفوذ الانجليزي في نهاية القرن العشرين، اضطرت فرنسا الى الرضوخ لمطالب بريطانيا عام ١٨٩٩م، فيما عرف باتفاقية تقسيم المستعمرات، في خضم تلك الأحداث عقد البرلمان الفرنسي عدة جلسات لا ليحاكم وزير الدفاع وقادة الجيش الفرنسي المهزوم، وانما ليحاكم وزير التربية والتعليم بحجة ان نظام التعليم لو استطاع تخريج شباب مؤمن بفرنسا وقضاياها، لما سلم اسلحته ولا انسحب من اية معركة، ولكان جنوده مستبسلين في الدفاع عن أمتهم التي احبوها، وآمنوا بها، وتغذوا على الدفاع عنها وعن مبادئها وقيمها.

ولو قلبنا التاريخ، وأمعنا النظر في سير الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، لوجدنا ان اكثر اتباعهم من فئة الشباب، ولو درسنا تاريخ الحركات التجديدية الصالح منها وغير الصالح لوجدناها ما قامت الا على أيدي الشباب.

وحضارتهم الى زوال ما دام شبابهم على حالهم تلك من اللهو والعبث، وهذا ما جعلهم يضطرون الى تشجيع هجرات شباب دول العالم الثالث المنتج الى بلادهم للاستفادة منهم في تسيير عجلة التقدم والتطور، واعطوهم ميزات مالية، واعتبارات نفسية ما كانوا يجدونها في بلدانهم المتخلفة.

ان ما سبق عرضه ليدل دلالة واضحة على أهمية الشباب، ويحتم وجوب العناية بهم، ووضعهم على سلم أولويات خطط البناء والنماء.

ومما يبشر بالخير، ويدعو للغبطة والسرور ان شباب الأمة الاسلامية يمثلون الشريحة الأكثر في تعداد السكان، وهذه نعمة نغبط عليها، اذ ان كثيراً من الدول ولا سيما الصناعية تشكو من كثرة شيوخها، وقلة شبابها، حتى اطلق عليها «مجتمعات هرمية».

وهذه النعمة العظيمة يجب أولاً شكر الله سبحانه وتعالى عليها، ومن ثم استثمارها وتفعيلها للمشاركة في تنمية البلاد ونهضتها.

لقد آن الأوان لأن تُصرف جهود المخلصين والناصحين لهذه الشريحة الكبرى والمهمة في مجتمعنا، بدراسة

والفاتحين، كما كان ذلك للسلطان محمد بن مراد الثاني العثماني، الذي اكرمه الله تعالى بفتح القسطنطينية، وقد عجز عن فتحها كبار قادة المسلمين في الدولتين الأموية والعباسية، ومات ابو ايوب الانصاري رحمه الله تحت أسوارها غزياً لها.

وقد اجمع المؤرخون من العرب والترك واللاتين والروم على ان السلطان محمد بن مراد حينما قاد جيشه لفتح القسطنطينية، لم يكن يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، وقد لقب بعد هذا الفتح العظيم بمحمد الفاتح.

والحديث عن انجازات الشباب في تاريخ الاسلام كثيرة، بل وفي تاريخ كل الأمم، والحضارة المعاصرة، والتقدم في الغرب وفي اليابان انما كان على ايدي شباب آمنوا بقضايا أممهم، وكرّسوا أوقاتهم في البحث والتجارب، حتى وصلت بلادهم الى ما وصلت اليه من تطور وتقدم، وما مظاهر الانحلال والضياع في البلاد الغربية من قبل طائفة الشباب الا طارئة في السنوات الأخيرة، وأما صناع هذه الحضارة العتيدة فما كانوا من الشباب اللاهين العابثين، ولذلك فإن عقلاء الغرب قد تنادوا، ودقوا نواقيس الخطر، وأحسوا ان أمتهم

أوضاعها وإزالة مشاكلها، وتنمية مهاراتها، وتنشيط طاقاتها، والشباب عامل بناء وتنمية ان استثمروا على الوجه الصحيح، وعامل هدم وإثارة للقلق ان اهملوا وتركوا.

لقد لوحظت شكاية كثير من الناس لأولادهم في لهوهم وعبثهم، وعدم تحملهم للمسؤوليات الملقاة على عواتقهم، ولذلك اسباب كثيرة يمكن حصرها في الأبوين والأسرة، فالأبوان اللذان يوليان أولادهما عناية كبيرة تربية وتعليماً، وقرباً منهما ليسا مثل الأبوين اللذين أهملوا أولادهما، ولا يلتقي الأب بأولاده إلا زمناً يسيراً في اليوم، بل سمعنا عن آباء يمكنون الجمعة والجمعتين لم يجلسوا مع أولادهم، ولم يسمعوا منهم ولم يروهم وهم في منزل واحد، يدخل الأب البيت آخر الليل وأولاده نيام، ثم يستيقظ لعمله وهم في مدارسهم، وعند عودته من عمله يرتمي نائماً الى العاشرة ليلاً وقد نام أولاده ليذهب مع

اقرانه في استراحة أو قهوة.

فهل هذا الأب وأمثاله من المهملين لأولادهم قد أحسنوا التربية؟ وتلمسوا مشكلات أولادهم، واستمعوا الى شكاواهم؟ كلا، ثم هل هذا الأب جدير بأن يكون مربياً يُخرج أولاداً ينفعون أنفسهم وأسرهم، ويكونون من عوامل البناء لأمتهم؟ ما أبعد ذلك.

ان العقوق الذي يشكي منه كثير من الآباء، نتيجة في أغلب صورته وأحواله إهمال الأولاد في صغرهم، والتقصير في تربيتهم، وبعض الآباء يلقي بالمسؤولية كاملة على الأم، ومعلوم ان الأم تستطيع السيطرة على الابن الى سن معينة، فإذا بدت بوادر المراهقة على الولد فإنه يحتاج الى رجل يقف بجانبه، ويرشده ويحفظه من نزواته وتهوره، ولا تستطيع الأم ذلك، فإذا أهمله الأب في هذا السن وما قبلها، فهل ينتظر منه البر بعد ذلك؟!

